الفصل الثانى
اهتمام الإسلام بالجانب المعنوى فى تربية الأولاد

تأديب الأولاد وتربيتهم على القيم والفضائل :

يجب على الآباء والمربين من الأهلين وغيرهم أن يبسطوا مبادىء الأخلاق التى نادى بها الإسلام ويزودوا بها الأبناء ؛ لينشئوا على المكارم والفضائل ، ومَنْ شَبَّ على شىء شَابَ عليه .

فعن الأسود بن سريع رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « كل مولودٍ يُولدَ على الفِطْرَةحتى يُعْربَ عنه لسانُه ، فأبواه يُهَوِّدَ انه أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه » (١).

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « كُلكم راع ، وكُلكم مسئول عن رعيته : الأمير راعٍ ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢).

ورعية الزوجة : أولادها ومال زوجها .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« مِنْ حق الوَلَدِ على الوَالِدِ أن يُحْسِن اسْمَه » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، قال : « أكرموا أولادكم وأَحْسِنُوا أدبهم » . وفى رواية قال : «فإنَّ أولادكم هدية لكم » (٣).

وفى حديث آخر يقول ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

---

(١) رواه البيهقى ، والطبرانى ، وغيرهما ـ الجامع الصغير ـ ج ٢ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه ابن ماجه ـ الترغيب والترهيب ـ ج ٣ .

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما نَحَلَ ـ أى أعطى ووهب ـ والدٌ ولدًا أَفْضَلَ مِنْ أدَبٍ حَسَن »[1].

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأنْ يُؤَدب الرجلُ ولدَهُ خيرٌ من أن يتصدق بصاع »[2].

وأخرج عبد الرازق ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما : « علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » .

وعن الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله . قال : « إنَّ خير ما يُوَرِّث الآباءُ الأبناءَ الْأَدَبُ» .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن .

ورضى الله عن السيدة عائشة حيث قالت ـ عندما سُئِلَتْ عن خُلُق رسول الله ﷺ : « كان خُلُقُه القرآن » .

وعليه فإنه يجب تأديب الأولاد منذ نعومة أظفارهم على القيم والفضائل النابعة من العقيدة الإسلامية ، والأساس فى ذلك هو التقوى ، وهى كما عرفها بعض العلماء : «ألاَّ يراك الله حيث نهاك . وألاَّ يفقدك حيث أمرك » . وكما قال البعض : « العمل على اتقاء عذاب الله سبحانه بصالح العمل ، والخشية من الله تعالى فى السر والعلن » .

وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أُبَىَّ بن كعب عن التقوى ، فقال له : «أما سلكت طريقًا ذا شوك ؟ قال : بلى . قال : فما عملت ؟ قال : شمرتُ واجتهدتُ . قال : فذلك التقوى .

وهى كما يقول المرحوم سيد قطب[3]: « حساسية فى الضمير ، وشفافية فى الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم ، وتَوَقٍّ لأشواك الطريق : أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك رجاء ، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًّا . . » .

---

(١) رواه الترمذى ـ الترغيب والترهيب ـ ج ٣ .

(٢) رواه الترمذى ـ الترغيب والترهيب ـ ج ٣ .

(٣) فى ظلال القرآن ـ الجزء الأول .

إن تقوى الله هى النبع الأصيل للقيم والفضائل الاجتماعية كلها ، وهى السبيل الوحيد لاتقاء المفاسد والشرور والآثام ، فَمِمَّا لاشك فيه أن الإيمان بالله سبحانه إذا ترسخ فى قلب الإنسان المؤمن من صغره فإنه يصنع الأعاجيب : إنه يصنع من الضعف قوة ، ومن الجبن شجاعة ، ومن الشح والبخل بذلا وسخاء ، ومن الجزع والهلع صبرًا واحتمالا .

وإنَّ غرس القيم الدينية فى الصغر هو الأساس فى تعليم الدين ، فإن طفولة الإنسان هى أطول فترة طفولة فى حياة أى كائن حى ، والحق أراد أن تطول هذه الطفولة لكى تتكون فيها الجذور الإيمانية التى تمنح الإنسان قوة التماسك عندما يكبر ويتعرض لشهوات وإغراءات الانحراف . إن الشجرة عندما تحرم من الماء ولا تجد ما يرويها تبدأ أوراقها أولا فى الذبول ، وبعد الأوراق تذبل الفروع ، وهكذا ، وآخر شىء يموت فى الشجرة جذورها ، بحيث إذا وصل إليها بعض الماء وهى قرب الموت عادت وارتوت بالحياة من جديد وأثمرت . نفس الشىء يحدث للإنسان إذا كانت له الجذور المؤمنة ، فقد يحدث أن ينسى تعاليم دينه فترة ، ويذبل فى تصرفاته سلوك الدين حتى قد يبدو أنه غير مسلم ، ولكن بسبب وجود الجذور يحدث أن تصادفه صدمة ، أو يستمع إلى حديث أو آية قرآنية، فيرى ما يصادفه جذور الإيمان فيه ويجد نفسه وقد عاد، وحاول العودة إلى تعاليم الدين وأحكامه .

هذه هى أهمية تعليم القيم الدينية وغرس الجذور الإيمانية منذ الصغر فى فترة الطفولة، وخاصة أن الوسائل التى تؤدى إلى انحرافات البشر كانت فى الماضى أقل كثيرًا مما هى عليه هذه الأيام ، وهذا يحتاج إلى جهد أكبر من الأبوين ، ومن البيئة التى يعيش الطفل فيها .

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : «اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومُروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

أولاً: تأديب الأولاد وتربيتهم على القيم الدينية التعبدية:

وقبل أن نتكلم عن الجوانب المختلفة لتأديب الأولاد وتربيتهم على القيم الدينية ،

يجدر بنا أن نوضح بادىء ذى بدء أنه يجب على الذين يقومون بشأن التربية الإسلامية ألاَّ يغفلوا أهم جانب فيها على الإطلاق ، وهو الجانب الذى أشار إليه ابن عمر فى هذا النص :

يقول ابن عمر :

« لقد عشنا برهة من الدهر ، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها ، وأوامرها وزواجرها ، وما ينبغى أن يقف عنده منها ، ولقد رأيتُ رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره ، وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدَّقَلِ »(١).

إن مأساة المربين أنهم أهملوا علم الإيمان وطريقه ، وهو المقدمة الفطرية لكتاب الله عز وجل ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾(٢).

وسنعرض فيما يلى لتدريب الأولاد على الصيام ، وعلى الصلاة ، واصطحاب الأولاد للمساجد ، وتعلم الأولاد للقرآن الكريم ، وللسنة النبوية المطهرة قولاً وعملاً.

١ ـ تدريب الأولاد على الصلاة :

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(٣).

وإذا كانت الصلاة لا تلزم الصغير لعدم تكليفه ، فإن الإسلام يوجب على ولىِّ الأمر أن يدربه عليها ويأمره بها . وعن عبدالله بن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده

---

(١) الدَّقَلُ : أَرْدَأُ التمر .

(٢) سورة فصلت ـ من الآية ٤٤ .

(٣) سورة الطور ـ الآية ٢١ .

رضى الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[١].

فيجب أن يضرب الطفل تأديبًا له على تركه الصلاة . والطفل الذى ينشأ فى جو إسلامى ليجد أباه وأمه وإخوته وأخواته يسارعون إلى أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها محققين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٢].

هذا الطفل سيقلد والديه وإخوته فى الصلاة ، حتى إذا كبر كانت الصلاة سلوكًا طبيعيًّا فى حياته . وعلينا أن نذكر أولادنا دائمًا بحديث رسول الله ﷺ : « بين المؤمنِ والكافر تَرْكُ الصلاة» . وحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « تَارِكُ الصَّلاة ملعونٌ وجاره إنْ رَضِىَ عنه إلى يوم القيامة ملعون » والهدف من ذلك أن يألف الأولاد الصلاة ويتطبعوا بها ، حتى إذا تأصلت فيهم العبادة انطبعت شخصيتهم بها .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : « على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ، ويضربوهم على ذلك إذا غفلوا . قال أصحابنا : ويأمره الولى بحضور الصلوات فى جماعة ، كما يأمره بالسواك وسائر الوظائف الدينية ، ويعرفه تحريم الزنى واللواط والخمر والكذب وشبهها »[٣].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أفصح أولادكم فعلموهم لا إله إلا الله ، ثم لا تبالوا متى ماتوا ، وإذا أثغروا فمروهم بالصلاة »[٤]. والإثغار : سقوط سِنِّ الصبى ونبات غيرها حين يبلغ الصبى السابعة من عمره .

السُّنة والنفل :

ويجب بعد تعليم الأولاد الفرض تعليمهم السنة والنفل ، فصلاة السنن والنوافل كما وصفها بعض المتصوفين : هى نعمة للصالحين ، وقُرة عين للوارثين ، ومعارج لأهل الإيمان ، ومشاهد لأهل الإحسان ، ونور لأهل اليقين ، وتمكين للمقتربين » .

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود بإسناد حسن .

(٢) سورة النساء ـ من الآية ١٠٣ .

(٣) الدين الخالص ـ الجزء الثانى .

(٤) رواه ابن السنى .

ختام الصلاة :

ويجب تعويد الأولاد على التسبيح وختام الصلاة ، وتعليمهم حديث رسول الله ﷺ : « مَنْ سَبَّحَ لله فى دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ـ غُفِرَتْ خطاياه وإنْ كانت مثل زَبَدِ البحر »(١).

وكل ذلك يجب أن يكون الجوهر والأساس فيه القدوة الحسنة ، فإن تعليم القِيمَ والفضائل والعقائد لابد أن تسير إلى تطبيق عملى ، بأن يكون الوالدان والإخوة والأخوات أسوة حسنة . نعلم الولد المحافظة على الصلاة فى وقتها وهو جالس معنا يراقبنا مراقبة غير مقصودة ، فإذا ما أذَّن الظهر والعصر بعده ولم نَقُمْ للصلاة حينئذ تهتز كل القيم ، ويستقر فى ذهن الولد أن هناك كلامًا يقال ، وعملاً يُفعل ، وحين ينفصل السلوك عن الكلمة فلن نستطيع أن نغرس القيم والفضائل فى نفوس أولادنا . فيجب أن يجد فينا الأبناء القدوة الحسنة قولاً وفعلاً ، ولابد أن يكون العلم مطابقًا للسلوك وليس منفصلا عنه ، حتى لا تنطبق علينا شعارات فلاسفة الغرب ، أمثال سقراط حيث يقول : « تَعلُّمُكَ الفضيلة لا يعنى فعلها » . ولكن لابد من الأسوة السلوكية الطيبة الطاهرة ، حتى لا نكون ممن قال الله تعالى عنهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾(٢)

٢ ـ اصطحاب الأولاد إلى المساجد :

وفى سبيل تنمية مواهب الأولاد ، وبناء شخصيتهم فى جو من الإيمان ، يُصْحَبُونَ إلى المساجد ، ويُدَربون ـ بل يُكَلَّفُون ـ القيامَ ببعض الواجبات ، قال المالكية : « يجوز إحضار الصبى إلى المسجد إذا كان من شأنه أنه لا يعبث ، أو يعبث ولكنه ينكف عن العبث إذا نُهِىَ »(٣).

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الصف ـ الآيتان ٢، ٣ .

(٣) الدين الخالص ـ الجزء الثالث .

وعن عبدالله بن شداد بن الهادى عن أبيه قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العَشِيِّ (الظهر أو العصر) وهو حاملٌ الحسنَ أو الحُسَين ، فتقدم النبى ﷺ فوضعه ، ثم كَبَّرَ للصلاة ، فصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها . . قال أحد: رواة الحديث : إنى رفعتُ رأسى فإذا الصبى على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد ، فرجعتُ فى سجودى ، فلما قضى الرسول ﷺ ، قال الناس : يا رسول الله سَجَدْتَ بين ظهرانى الصلاة سجدة قد أطلتها ، فظننا أنه قد حدث أمرٌ ، أو أنه يوحى إليك . فقال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارْتَحَلَنِى فكَرِهْتُ أن أعجله حتى يقضى حاجته » (١).

وعن قتادة رضى الله عنه قال : « بينما نحن جلوس فى المسجد خرج علينا رسول الله ﷺ يحمل (أُمَامَةَ) بنت أبى العاص بن الربيع ، وأمها زينب بنت رسول الله وهى صبية ، فحملها على عاتقه ، فصلى وهى على عاتقه ، يضعها إذا ركع ، ويعيدها على عاتقه إذا قام ، فصلى رسول الله ﷺ وهى على عاتقه حتى قضى صلاته يفعل بها ذلك »(٢).

ولا يُنافى هذا حديثَ مكحول عن معاذ رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «جنبوا مَسَاجِدَكُم صِبْيانكم » (٣). فإن الأمر فى الحديث محمولٌ على الندب ، بخلاف ما وقَعَ من النبى ﷺ مع الحسن ، والحسين ، وأمَامَة ، رضوان الله عليهم ، فإنه محمول على بيان الجواز (٤).

ويجب أن نُعَوِّدَ أولادنَا كل ماكان يفعله ويقوله ويدعو به النبى ﷺ ، حتى تتأصل السنة النبوية المطهرة فى قلوبهم وعقولهم ، سلوكًا وفعلاً ، وقولاً وعملاً . ومن ذلك :

أدعية مأثورة :

دعاء المشى إلى المسجد :

فعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ خرج إلى المسجد وهو يقول :

---

(١) رواه أحمد والنسائى ، والحاكم ـ الدين الخالص ج ٣ .

(٢) رواه مالك ، وأحمد ، والشيخان ، وغيرهم .

(٣) رواه الطبرانى ، وابن ماجه .

(٤) الدين الخالص ـ الجزء الثالث .

«اللهم اجعل فى قلبى نورًا ، وفى بصرى نورًا ،وفى سمعى نورًا ، وعن يمينى نورًا ، وعن يسارى نورًا ، وفوقى نورًا ،وتحتى نورًا ، وأمامى نورًا ، وخلفى نورًا، واجعل لى نورًا » (١).

دعاء دخول المسجد :

وكان النبى ﷺ يدخل المسجد باليمين ويدعو قائلا : « باسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ،وسلطانه القديم ،من الشيطان الرجيم . باسم الله ، اللهم صَلِّ على محمد ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك»(٢).

دعاء الخروج من المسجد :

وكان النبى ﷺ يخرج من المسجد برجله اليسرى ويدعو قائلا : « اللهم إنى أسألك من فضلك ، اللهم صَلِّ على محمد » (٣).

دعاء الوضوء :

كما يجب أن نعلم أولادنا عند الوضوء ماكان يدعو به النبى ﷺ ، فقد كان النبى ﷺ يقول وهو يتوضأ : « اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دَارِى ، وبارك لى فى رزقى»(٤).

وبعد الوضوء كان النبى ﷺ يقول : « أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . اللهم اجعلنى من التوابين ، واجعلنى من المتطهرين » فمن قال ذلك فُتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » (٥).

دعاء الأذان :

كما يجب أن نعلم أولادنا أنه عند سماع المؤذن نقول مثلما يقول تمامًا ، إلا فى حَىَّ على الصلاة ، حىَّ على الفلاح . فنقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، ثم ندعو بعد

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى .
(٣) رواه ابن السنى ، وأبو داود ، والنسائى .
(٤) رواه النسائى .
(٥) رواه مسلم والترمذى .

الأذان : « اللهم رَبَّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته »[1].

تحية المسجد :

ويجب تعليم الأولاد تحية المسجد ، وحديث رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » وذلك فيما عدا المسجد الحرام ، فتحيته الطواف بالكعبة[2].

٣ ـ تدريب الأولاد على الصيام :

قال الإمام الشافعى : « كذلك يجب تعويد الغلمان على الصيام حتى يعتادوا الصبر على العبادة وتكاليف الحياة ، فالصغير الذى لم يبلغ الحلم ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ مطلوب أن يُدَرَّبَ على صيام شهر رمضان مادام قادرًا على صيامه ، ولقد ثبت أن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ الصحابية كانت تضع اللعب لطفلها وهو صائم ؛ لتلهيه بها إذا بَكَى على الطعام حتى يتم صومه . وقد جلد عمر بن الخطاب سكرانَ فى رمضان وقال : «ويلك أتفطر وصبياننا صيام ؟ » .

٤ ـ تعليم الأولاد القرآن الكريم :

إن أساس ثقافة الإنسان المسلم هو القرآن الكريم ، كلام الله تعالى ، ثم حديث رسول الله ﷺ ، فهُما منبعا الثقافة الإسلامية الأساسية ، ويأتى التطبيق فى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى . ويقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى : « لو أن العلوم كلها ، والفلسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن لما أغنت شيئًا من غنائه ـ ولا رَدَّتْ عليهم بعض مَرَدِّهِ ، فإن الفضيلة العقلية التى أساسها العلم لا تعطى غير الإرادة النظرية التى ربما اهتدى بها المرء ، وربما ظل بها على علم ، ولكن الفضيلة الأدبية تدفع إلى الإرادة العلمية دفعًا ، لأن هذه الإرادة هى مظهرها ، ولا سبيل لظهورها غير العمل» .

قال الله تعالى :

---

(١) رواه البخارى .

(٢) الحديث رواه الجماعة .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

وقال الرسول ﷺ : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة ، وألاَّ يرزقه إلا طيبًا »(٢).

قال القابسى : « فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة عين لم يبخل على ولده بما ينفق عليه فى تعليمه القرآن ، فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه فى تعليمه القرآن أن يكون من السابقين بالخيرات بإذن الله ، والذى يعلم ولده فيحسن تعليمه ويؤدبه فيحسن تأديبه قد عمل عملاً يرجى له من تضعيف الأجر فيه » .

فإذا بدأ الصبى فى حفظ القرآن ومعرفة تعاليم الدين اختلطت هذه التعاليم بشخصيته كلما نما وبلغ مبلغ الرجولة ، فتتحد البواعث الدينية فى نفسه مع البواعث الشخصية ؛ لينشأ بشخصية إسلامية متكاملة . ويستطيع الأب أن يخصص لأولاده مَنْ يعلمهم ويُحفظهم القرآن نظيرَ أجرٍ ، فقد أجَازَ العُلماء أخذ الأجرة على تحفيظ القرآن لأبناء المسلمين ، محافظة على القرآن ، وخوفًا من ضياعه من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن معلم القرآن حَبَسَ نفسه لتعليم أولاد المسلمين ولا يمكنه التكسب لنفسه وعياله . وفى قوله تعالى عن نَذْرِ امرأة عمران :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣).

محررًا : أى : مُعْتَقًا ، وهى تقصد بذلك أنه مُعْتَقٌ من أن يكون عبداً للدنيا ليعبد الله وحده . يقول القاضى أبو يعلى : « والنذر فى مثلِ ما نذرتْ صحيح فى شريعتنا ، فإنه إذا نَذَرَ الإنسان أنْ يُنَشِّىءَ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته ، وأن يعلمه القرآن والفقه وعلوم الدين ، صح النذر » . ويجب تأديب الأولاد على حُب رسول الله ﷺ ،

(١) سورة الجمعة ـ الآية الثانية .
(٢) رواه البيهقى ـ الجامع الصغير ج ١ .
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٣٥ .

وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم ، لما روى الطبرانى عن علىٍّ كرم الله وجهه ، أن النبى ﷺ قال : « أَدِّبُوا أولادكم على ثلاثِ خصال : حُبِّ نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن فى ظِلِّ عرش الله يوم لا ظِلَّ إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه » . ويجب ترويض الأولاد على الخشوع والتحزن والبكاء عند تلاوة القرآن الكريم ، لقول رسول الله ﷺ : « اقرءُوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فَتَباكَوْا »(١).

وقد أوصى الإمام الغزالى فى إحيائه بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، وبعض الأحكام الدينية ، والشعر الخالى من ذكر العشق وأهله . ويجب البدء بتعليم الولد فى مراحل الطفولة الأولى حيث يكون أصفى ذهنًا ، وأقوى ذاكرة ، وأنشط تعليماً : فالعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر .

ويقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « كنا نُعَلِّمُ أولادنا مغازِىَ رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

وقد نصح هشام بن عبد الملك مؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله ، والشعر الجيد ، والخطابة ، وتاريخ الملاحم ، ويعنى بتعليمه الأخلاق ، ويروضه على مخالطة الناس .

ونوضح هنا حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سُئِلَتْ عن خُلُق الرسول ﷺ فقالت : « كان خُلُقه القرآن الكريم » صلوات الله وسلامه عليه . ويجب أن نُعَوِّدَ أبناءنا على السلوك الإسلامى فى كل أمور حياتهم ، فعندما نُحَيِّى أحد أبنائنا وَنُبْدِى له تقديرنا وإعجابنا على حفظ بعض آيات الله البينات ، أو بعض أحاديث من أحاديث رسول الله ﷺ ، أو أداء أى عمل من الأعمال ـ ندعو له : « اللهم افتح عليه ، اللهم اغفر له ولوالديه » ونحييه بتحية الإسلام ، قائلين : الله أكبر . ولا نحييه بالتصفيق ؛ لأن التصفيق عادة من عادات الجاهلية ، حيث كان الكفار قبل الإسلام يطوفون بأوثانهم بالكعبة عرايا وهم يصفقون .

٥ ـ تعليم الأولاد السنة النبوية المطهرة قولاً وعملاً :

يجب أن ينشأ أولادنا على السنة النبوية المطهرة، وذلك بأن نُعَوِّدَهُم ونعلمهم كل ما

---

(١) رواه الطبرانى .

كان يفعله النبى ﷺ، وكل ما كان يحبه النبى ﷺ ، وما كان يدعو به النبى ﷺ ، ومن ذلك :

التيامن :

فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يحب التَّيَمُّنَ فى طهوره إذا تَطَهَّر ، وفى تَرَجُّلِهِ إذا ترجَّل ، وفى انتعاله إذا انتعل »[1].

وهناك قاعدة مستمدة من الشرع ، وهى أنه : ما كان من باب التكريم والتشريف ـ كغسل أعضاء الطهارة ، واستلام الحجر الأسود ، ودخول المسجد ، والسواك ، والسلام من الصلاة ، والأكل والشرب ، والمصافحة ، ولبس الثوب والخُف ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب ، ومشط الشعر ، وحلق الرأس ، والخروج من الخلاء ، وغير ذلك مِمَّا هو فى معناه ـ يُستحب التيامن فيه . وما لم يكن من باب التكريم ـ كالخروج من المسجد ، ودخول الخلاء والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والخف وما أشبه ذلك ـ فيستحب التياسُر فيه . وذلك كله لكرامة اليمين وشرفها .

فى المأكل والمشرب :

فمن هَدْيه ﷺ النَّهْىُ عن الزيادة فى الأكل : فقد روى الإمام أحمد والترمذى وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لُقَيْمَات يُقِمْنَ صُلْبَه ، فإنْ كان لابد فاعلاً فَثُلُثٌ لطعامه ، وثُلُث لشَرابه ، وثلث لنفسه » .

ومن هديه ﷺ فى المشرب ما وراه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا واحدًا كَشُرْبِ البَعِير ، ولكن اشربوا مَثْنَى وثُلاثَ ، وسَمُّوا إذا أنتم شربتم ، واحْمَدُوا إذا أنتم رَفَعْتُم » .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَشْرَبَنَّ أحدكم قائمًا » .

كما روى الترمذى أن النبى ﷺ نَهَى أن يُتَنَفَّسَ فى الإناء أو يُنفخ فيه .

وروى البخارى ومسلم عن عمر بن أبى سلمة ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنت

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدى تطيشُ فى الصَّحْفَةِ ، فقال لى رسول الله ﷺ : « با بُنَىَّ سَمِّ الله وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مِمَّا يليك » .

كما يجب أن نُعَلِّمَ أولادنا دعاء النبى ﷺ عند الطعام : « اللهم بَارِكْ لنا فيما رزقتنا وقِنَا عذاب النار ، باسم الله » (١). وقول الرسول ﷺ : « إذا أكل أحدكم فَلْيذكر اسمَ الله تعالى ، فإن نَسِىَ أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل : باسم الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ » (٢).

وكان النبى ﷺ إذا فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

وقال : « الحمد لله الذى أطعمنى هذا وَرَزَقَنِيهِ من غير حَوْلٍ منى ولا قوة » . وكان يدعو لمن قدم له طعامًا : « أَكَلَ طعامكم الأبرار ، وصَلَّتْ عليكم الملائكة » (٣).

عند النوم :

عن البراء بن عازب رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فتوضَّأْ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّكَ الأيمن ، ثم قُلْ : « اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ، ووجهتُ وجْهِى إليك ، وفوضتُ أمرى إليك ، وألجأتُ ظهرى إليك رغبة ورهبة إليكَ ، لا ملجَأَ ولا مَنْجَى منك إلا إلَيك . اللهم آمَنْتُ بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت . فإنْ مِتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به » .

ونقف هنا أمام الطب النبوى فى قول الرسول ﷺ : « اضطجع على شِقِّك الأيمن » وحكمتها وعظمتها حيث اكتشف الطب الحديث أخيرًا الحكمة من النوم على الجانب الأيمن ، وهو أن ذلك يمنع ضغط الكبد على المعدة ، ويساعدها على تفريغ محتوياتها، كما يسهل عمل القلب ، فيمنع ضغط المعدة والحجاب الحاجز عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ إذا أوَى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما فقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ

(١) رواه ابن السُّنى .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) رواه أبو داود .

برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » (١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال النبى ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه : أستغفرُ الله الذى لا إلٰه إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات ، غَفَرَ الله له ذنوبه وإِنْ كانت مثل زَبَدِ البحر » . وفى رواية : « وإن كانت عدد ورق الشجر»(٢).

وقال النبى ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه : لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، لَهُ المُلك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . لا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، سُبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٰه إلا الله ، والله أكبر ـ غُفِرَتْ له ذنوبه وإنْ كانت مثل زيد البحر » (٣).

وقال النبى ﷺ : « إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه (طرف ثوبه) ثلاث مرات ، وليقل : باسمك ربى وضعتُ جنبى ، وبك أرفعه ، إنْ أمْسَكْتَ نفسى فَاغْفِرْ لها ، وإنْ أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » (٤).

عند الخروج من البيت ودخوله :

قال رسول الله ﷺ : « من قال إذا خرج من بيته : باسم الله ، توكلتُ على الله ، لا حولَ ولا قوة إلا بالله ، يُقَالُ له : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ ، وتَنَحَّى عنه الشيطان » (٥).

وعند دخول البيت : « اللهم إنى أسألك خير المَوْلِج ، وخير المَخْرَج ، باسم الله وَلَجْنَا (دخلنا) وباسم الله خَرَجْنَا ، وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم يسلم على أهله » (٦).

عند الاستيقاظ من النوم :

ومن أدعية النبى ﷺ عند الاستيقاظ من النوم :

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه ابن حبّان عن أبى هريرة .
(٤) رواه الجماعة : النسائى ، وابن ماجه ، والبخارى ومسلم ، وأبو داود . والترمذى .
(٥) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى .
(٦) رواه أبو داود .

« الحمد الله الذى أحيانا بعد مَا أماتنا و إليه النشور » (١).

« الحمد لله الذى رَدَّ علىَّ روحى ، وعافَانِى فى جسدى ، وأذِنَ لى بذكره » (٢).

« لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٣).

« لا إلٰه إلا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لِذَنْبِى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زِدْنِى علمًا ، ولا تزغ قلبى بعد إِذْ هديتنى ، وهَبْ لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »(٤).

عند لبس الثوب وخلعه :

وكان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سمَّاه باسمه (قميصًا كان أو ردَاءً أو عمامة) ويقول : « اللهم لك الحمد ، أنت كَسَوْتَنِيه ، أسألك خَيْرَهُ وخير ما صُنِعَ له ، وأعوذُ بك من شَرِّه وشر ما صُنع له » (٥).

وإذا لبس ثوبًا جديدًا يقول ﷺ : « الحمد لله الذى كَسَانِى هذا الثوبَ ، وَرَزَقَنِيه من غير حَوْلٍ منى ولا قوة » (٦).

وقال ﷺ : « ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل إذا أراد أن يطرح ثيابه : باسم الله لا إلٰه إلا هو » (٧).

ومن السنة لبس الثوب مبتدئًا باليمين وخلعه مبتدئًا باليسار . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا لبس قميصًا بدأ بميامنه » .

---

(١) رواه البخارى .
(٤) رواه ابن السنى .
(٥) رواه ابن السنى .
(٦) رواه أبو داود .
(٧) رواه ابن السنى عن أبى سعيد الخدرى .
(٨) رواه ابن السنى عن معاذ بن أنس .
(٩) رواه ابن السنى عن أنس بن مالك .

عند دخول الخلاء والخروج منه :

كان رسول الله ﷺ يقول عند دخول الخلاء : « اللهم إنى أعوذ بك من الخُبث والخبائث »(١).

وكان رسول الله ﷺ يقول عند الخروج من الخلاء : « غُفرانَك »(٢).

وكان يقول :

« الحمد الله الذى أَذاقَنِى لَذَّتَهُ وأبقى فىَّ قُوَّتَه ودَفَعَ عَنِّى أَذَاهُ »(٣).

إن تعليم الأولاد وتربيتهم على آداب السنة النبوية المطهرة سيجعل الولد ينشأ ويتطبع بالسلوك الإيمانى منذ صغره . إننا إذا طبعنا فى ذهن النشء أن كل عمل يجب أن يبدأ باسم الله ، استشعر الطفل أنَّ الله هو فاعل كل شىء ، وأن الله خلق له كل شىء ، وأن الأسباب مخلوقة له . كما أننا إذا طبعنا فى ذهن الطفل أنه حين ينتهى من أى عمل يجب أن ينتهى بحمد الله ، فيستشعر الولد أن كل شىء إنما تم بعون الله ، فيجب أن نتوجه إليه بالحمد والشكر . كما أننا إذا طبعنا فى ذهن الطفل أنه كلما رأى ما يعجبه ويسره يقول : « باسم الله ما شاء الله ، لا قُوَّةَ إلا بالله » فسينطبع فى ذهن الطفل أن الله هو الرزاق ، وهو العاطى ، وهو الواهب ، وسيحب الخير للناس ، ويحس أن كل شىء من عند الله . وإذا تكرر ذلك منه يصبح طابعًا خُلقيًّا فيه، وتستقر فى ذهنه القيم الدينية والخلقية الرفيعة .

يجب ربط الولد دائماً بربه وبمنهج دينه ، بأن ننظم حياته تنظيماً يستغرق كل حركة من حياته ، بحيث لا تفوت حركة من حركات حياته إلا وهى موصولة بربه . وحين يكون كذلك يظل دائماً موصولا بربه ، فلا يقبل على عملٍ إلا إذا كان موافقا لمنهج الله ، وفيه خير لنفسه ، وخير لمجتمعه فى دنياه وفى أخراه .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) رواه الطبرانى وابن السنى عن عبدالله بن عمر ، رضى الله عنهما .

ثانيًا : تأديب الأولاد وتربيتهم على القيم الدينية الخُلقية :

١ـ تربية الأولاد على الصدق :

إذا كان الأولاد يكتسبون العادات والقيم والأخلاق من المجتمع المحيط بهم ، وخاصة أقرب الناس إليهم ، وهما الوالدان ، ومَنْ هُم فى منزلتهم ، كالمعلم ــ فإن الإسلام يحرص على أن يكون الوالدان قدوة طيبة ، ومثلاً أعلى لأولادهم فى مكارم الأخلاق ، فيفوزوا جميعًا بالسعادة فى الحياة الدنيا ورضوان الله فى الآخرة .

عن عبدالله بن عامر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبى صغير، فذهبت لألعب ، فقالت أمى : يا عبدالله تعالَ أعطيك : فقال رسول الله ﷺ : « وما أَرَدْتِ أَن تعطيه ؟ قالت : تمرًا . فقال : «أما أنكِ لولَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عليك كذبة»(١).

ويجب على الوالدين الإجابة عن كل الأسئلة التى يطرحها الطفل عليهما بصدق ، مع استخدام الأساليب الرقيقة فى مجال التربية ، واستخدام المنطق والإقناع ، ونركز هنا تركيزاً كبيراً على أهمية الأسوة الحسنة .

فالطفل حين يجد من أبويه ومربيه القدوة الصالحة فى كل شىء فإنه يتشرب مبادىء الخير ، ويتطبع على أخلاق الإسلام .

وحين يريد الأبوان أن يتدرج طفلهما على خُلُق الصدق والأمانة والعفة والرحمة ، فعليهما أن يعطيا من أنفسهما القدوة الصالحة فى فِعْلِ الخير ، والابتعاد عن الشر ، والتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل ، فى اتباع الحق ومجانبة الباطل ، وفى الإقدام نحو معالى الأمور والترفع عن سفاسفها .

إن الولد الذى يرى أَبَويْه يكذبان يكون من الصعب أن يتعلم الصدق .

إن الولد الذى يرى والديه يخونان يكون من الصعب أن يتعلم الأمانة .

إن الولد الذى يرى والديه في ميوعة واستهتار يكون من الصعب أن يتعلم الفضيلة .

---

(١) رواه أبو داود ـ إحياء علوم الدين ج ٣ .

إن الولد الذى يسمع من أبويه كلمات السباب يكون من الصعب أن يتعلم حلاوة اللسان .

إن الولد الذى يرى من أبويه الغضب والانفعال يكون من الصعب أن يتعلم الحلم والاتزان .

إن الولد الذى يرى من أبويه القسوة والجفاء يكون من الصعب أن يتعلم الرحمة والمودة .

وهكذا ينشأ الولد على الخير ، ويتربى على الفضيلة والأخلاق الحَسَنة إذا وجد من أبويه ومربيه القدوة الصالحة ، وبالتالى فإن الولد يندرج نحو الانحراف والعصيان إذا وجد من أبويه ومربيه القدوة السيئة .

ويقول الشاعر الحكيم :

وهل يُـرْجَى لأطفالٍ كَمـالٌ إذا ارْتَضَعُـوا بِثَدْيِ النَّاقِصَـاتِ

ونركز هنا تركيزًا كبيرًا على أهميةالأسوة الحسنة والقدوة السلوكية ، فإن قيمة العلم فى التطبيق،فتَعَلُّمُ الفضائل لكى تكون لها الفاعلية الحقيقية لابد أن تسير إلى تطبيق عملى ، بأن يكون الوالدان أو المُرَبُّون أسوة حسنة ؛ لأنه إذا انفصلت الكلمة عن السلوك انهدرت قيمة القيم وقيمة العلم ، فإن رَبَّيْنَا وَلَدَنَا طيلة عمره على أن الكذب صفة خسيسة ، وشىء مذموم وضار ، وعلَّمناه الصدق وفضائل الصدق ، ثم جاء إنسانٌ فطرق الباب يسأل عنى ، أو يطلبنى إنسان فى الهاتف، وقلتُ للولد : قُلْ له : إنَّ أبى غير موجود ، فإنه بمثل هذا السلوك تهدر كل القيم ، ويستقر فى ذهن الولد أن هناك كلامًا يقال وأن هناك عملاً يُفْعَلُ . وحين ينفصل السلوك عن الكلمة فذلك هو الفساد الذى لا علاج له أبدًا .

ورضى الله عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم : « إنى سأدعو الناس إلى كذا وكذا ، وأَنْهَا هُم عن كذا وكذا ، وإنى أقسم بالله العظيم لا أجد واحدًا منكم فَعَلَ ما نهيتُ الناسَ عنه ، أو تركَ ما أَمَرْتُ الناسَ به إلاَّ نكلتُ به نكالاً شديدًا » .

٢ ـ تدريب الأولاد على الجهاد فى سبيل الله :

يجب تلقين الأولاد مغازى رسول الله ﷺ وتأديبهم على التخلق بأخلاق العظماء من الصحابة والتابعين ؛ ليتطبعوا على الشجاعة والبطولة وحب الجهاد ، وإعلاء كلمة الله ، والتضحية والفداء فى سبيل الله . فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : رأيت أخى عُمير بن أبى وقاص ـ قبل أن يستعرضنا رسول الله ﷺ ـ يتوارى يوم بدر ، فقلتُ : مَالكَ يا أخِى ؟ فقال : أخافُ أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة ، فَعُرِضَ على رسول الله ﷺ فَرَدَّهُ ، فبكى ، فأجازه . قال سعد : فكنت أعقد عليه حَمَائلَ سيفه مِنْ صِغَرِه ، فُقتِلَ وهو ابْن ست عشرة سنة . رضى الله عنه وأرضاه [١].

ويقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن . ومن وصايا عمربن الخطاب رضى الله عنه : علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومُرُوهم فَلْيَثْبُوا على الخيل وَثْبًا .

وقد استعرض رسول الله ﷺ جيش المسلمين عند خروجهم للقاء المشركين فى «أُحُد» ، فرأى صغارًا لم يبلغوا الحُلُم ، وكان فيمن ردَّه عليه الصلاة والسلام رافعُ بن خَدِيج ، وسَمُرَةُ بن جُنْدَب ، ثم أجاز رافعًا لمَّا قيل له : إنه رام يحسن الرماية . فبكى سَمُرَةُ وقال : أجاز رسول الله ﷺ رافعًا وردَّنى مع أنى أصرعه . فأمرهم الرسول بالمصارعة ، فكان الغالب سَمُرَة فأجازه عليه الصلاة والسلام .

وكان ﷺ قد شارك فى الحرب وهو دون الحُلم ، فما ذكرته كتب السيرة أنه كان ينبلُ على أعمامه فى حرب الفِجَار .

وبعد ، فتلك نماذج رائعة توضح نتائج التربية القويمة على الشجاعة والبطولة والجهاد والثقة بالنفس والعزة والكرامة .

٣ ـ تعويد الأولاد على الجرأة وعدم الخجل :

يجب تعويد الأولاد : الجرأة والشجاعة ، وعدم الخجل ، والثقة بالنفس ، والتكلم بالحق ، لا يخشون فى ذلك لومة لائم .

---

(١) أخرجه البزار ـ حياة الصحابة ج ١ .

يقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه : بايعنا رسول الله ﷺ على الطاعة فى المَنْشَطِ والمَكْرَه ، وفى العُسْر واليُسْر . . . وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، لا نخشى فى الله لومة لائم . . » وهذه المبايعة تشمل الأولاد والرجال والنساء على السواء .

ومن النماذج الطيبة على ذلك ابن عباس ، وكان دون الحلم . كان الخليفة عمر رضى الله عنه يدخله مع أشياخ بدر ـ فى المشورة ـ فكأن بعضهم وَجَد فى نفسه (أى : غضب) فقالوا : لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمتم (أى مَنْ خصه عليه الصلاة والسلام بالدعاء له : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فى الدِّينِ ، وعَلِّمْهُ التأويل » .

فقال عمر لأشياخ بدر ما تقولون فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ؟ قال بعضهم : « أمَرنَا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا » وسكتَ بعضُهم فلم يقل شيئًا . فقال عمر : أكذلك تقول يا بن عباس . قال : لا . قال عمر: فما تقول ؟ قال ابن عباس : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمُه له . قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ وذلك علامة أَجَلِكَ ، فَسَبِّحْ بِحَمدِ ربك واستغفره إنه كان توابًا . فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول .

ومر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرة فى طريق بالمدينة فرأى أطفالاً يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير ـ وهو طفل ـ يلعب ، فهرب الأطفال هيبةً من عمر ، ووقف ابن الزبير ساكنًا لم يهرب ، فلما وصل إليه عمر قال له : لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان ؟ فقال على الفور : « لستُ جانيًا فأجرى منك ، وليس فى الطريق ضِيقٌ فأوسع لك » فَسُرَّ منه عمر لِجُرْأَتِهِ وجوابه السديد .

ورأى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولدًا له فى يوم عيد وعليه ثوب خَلَق ، أى ، قديم ، فدمعت عيناه ، فرآه ولده ، فقال : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخَلَق ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلبُه مَنْ أعدمه الله رضاه ، أو عَقَّ أمه وأباه ، وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى راضيًا عنى برضاك .

ودخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى أول خلافته وفودُ المهنئين فتقدم من

وفد الحجازيين للكلام غلامٌ صغير لم تبلغ سنُّه إحدى عشرة سنة ، فقال له عمر : ارجِعْ أنتَ وليتقدمْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ منك . فقال الغلام : أَيَّدَ الله أمير المؤمنين : المرءُ بِأَصْغَرَيْه : قلبه ولسانه ، فإذا مَنَحَ الله العبدَ لسانًا لافظًا ، وقلباً حافظًا ، فَقَد استحق الكلام ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لَكانَ فى الْأُمَّـةِ من هو أَحَقُّ منك بمجلسك هذا . فتعجب عمر من كلامه وأنشد :

تَعَلَّـمْ فليس المرء يُولَـدُعالمًا ... وليس أَخُو علـمٍ كَمَن هـو جَاهِـلُ

وإنَّ كَبيرَ القومِ لاعِلْمَ عنـده ... صَغِيـرٌ إذَا الْتَفَّتْ عليـه المَحَافِـلُ

ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلامًا صغيرًا على أذنه قلم ، فقال له : مَنْ أنت؟ قال : أنا الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، أنا الحَسَنُ بن رجاء . فعجب المأمون من حُسْنِ إجابته وقال : « بالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول . ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته » .

وقحطت البادية فى أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت عليه العرب ـ ومنهم بعض الصبيان ـ فتكلم صبى فقال : يا أمير المؤمنين : إنَّا أصابَتْنَا سِنُون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت العظم (أى أخرجت مخه) ، وفى أيديكم فُضولُ أموالٍ ، فَإنْ كانت لله فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِه ، وإنْ كانت لهم فَعلامَ تحبسونها عنهم ؟ وإنْ كانت لكم فَتَصَدَّقُوا بها عليهم ، فإن الله يجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين . فقال هشام : ما تَرَكَ لنا هذا الغلام فى واحِدَةٍ من الثلاث عُذْرًا . وأَمَر للبوادى بمائة ألف درهم . وقال هشام للصبى : أما لك حاجة ؟ فقال الصبى : مالى حاجة خاصة دون عامة المسلمين .

هذه أمثلة رائعة تدل على تعويد الأولاد وتربيتهم على الجرأة الكاملة فى حدود الأدب والاحترام ، ومراعاة شعور الآخرين ، وتكوين الشخصية والنضج الفكرى والاجتماعى ، والتحرر التام من الخجل .

ولقد كان ﷺ المثل الأعلى فى الجرأة والشجاعة والقوة . ذكرت كتب السيرة أنه عليه الصلاة والسلام اُسْتُحلِفَ باللاَّت والعُزَّى وهو صبى . فقال للمُسْتَحْلِفِ : « لا تسألنى بهما شيئًا ، فوالله ما بغضتُ شيئًا بغضى لهما » .

وَصَرَع عليه الصلاة والسلام « رُكَانَةَ » سيد المصارعين ثلاث مرات ، فقال له «ركانة» بعد الثالثة أشهد أنك رسول الله .

وفى معركة « أُحُد » تصدى عليه الصلاة والسلام لأُبَيِّ بن خَلَف بحربة سَدَّدَهَا إلى صدره، فسقط من على الفرس وهو يُغالب الألم ويقولَ : لو بَصَقَ علىَّ محمد لقَتَلَنِي .

ولجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم عند حفر الخندق لتفتيت صخرة كبيرة لم تُؤَثِّرْ فيها السَّواعد ولا الفئوس ، ففتتها .

ويوم حُنَيْن وقف عليه الصلاة والسلام على بغلته والناس يفرون وهو يقول : « أنا النبى لاكَذِبْ ، أنا ابنُ عبد المطلب »فما رُئِىَ أحَدٌ يومئذ كان أَثْبَتَ منه ولا أقربَ للعدو، صلوات الله وسلامه عليه .

ولا تعنى الجرأة والشجاعة عدم الحياء ، فالحياء أوصى به رسول الله ﷺحين قال : « استحيوا من الله حق الحياء » قلنا : إنَّا نستحى من الله يا رسول الله والحمد لله ، قال : « ليس ذلك ، الاستحياء من الله حق الحياء أَنْ تَحْفَظَ الرأس وما وعَىَ ، والبطن وما حَوَى ، وتَذْكُر الموتَ والبلى . ومن أراد الآخِرَةَ ترك زينة الحياة ، وآثر الآخِرَةَ على الأولى، فمن فَعَلَ ذلك استحيا من الله حق الحياء » (١).

وعن الإمام أحمد قوله : اللهم لا يدركنى زمان لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحيا فيه من الحليم » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لكل دين خُلُقًا ، وخُلُق الإسلام الحياء»(٢).

٤ ـ تعود الأولاد على الحلم وعدم الغضب :

يجب تعويد الأولاد على الحلم وعدم الغضب وتعليمهم هدى رسول الله ﷺ فى علاج الغضب .

والغضب حالة نفسية ، وظاهرة انفعالية طبيعية فى الإنسان ، ومن الغضب ما هو مذموم ، ومنه ما هو محمود ، والغضب المحمود هو الذى يؤدى إلى المحافظة على

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه مالك .

الدين والعرض والوطن ، وكان ﷺ يغضب غضبًا شديدًا إذا انْتُهِكَتْ محارم الله ، وقد جاءه من يشفع فى حَدٍّ من حدود الله فَغَضِبَ وظهرالغضب على أسارير وجهه ، وقال قولته الخالدة : « إنما أَهْلَكَ الذين من قبلكم أنه إذا سَرَقَ فيهم الشريف تركوه ، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لَقَطَعْتُ يَدَهَا »(١).

وأخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه ، أنه قال : « ما رأيت رسول الله ﷺانتقم لنفسه من شىء ، إلا إذا انتُهكت لله حُرْمَة ، فإذا انتهكت لله حُرمة كان أشد الناس غضبًا ، وما عرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما ، مالم يكن فيه سخط لله ، فإن كان فيه لله سخط كان أبعد الناس منه » .

وقد امتدح القرآن الكريم الكاظمين الغَيْظَ . وأوصى رسول الله ﷺ رجلا قال : «لا تَغْضَبْ » كررها مراراً ، وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال له : « ما يباعدنى من غضب الله عز وجل ؟ قال : لا تَغْضَب .

وأخرج البخارى عن رسول الله ﷺأنه قال : « مَنْ كَظَمَ غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور العين شاء » .

ومن وسائل علاج الإسلام للغضب تغيير العادة التى يكون عليها الغضبان ، لقول رسول الله ﷺ : « إذَا غَضِبَ أَحَدُكُم وهو قَائِمٌ فليجلسْ ، فإن ذهب عنه الغضب . . . وإلا فليضطجع »(٢) .

وكذلك الوضوء لقول رسول الله ﷺ : « الغضبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وإنَّ الشيطان خُلِقَ من النار ، وإنما تُطْفَأُ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

ويستحسن اللجوء للسكوت ، لقول رسول ﷺ: « إذَا غَضِبَ أحدكم فليسكت»(٣).

---

(١) البخارى ومسلم .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) رواه أحمد .

والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لقول رسول الله ﷺ لرجل يسب صاحبه مغضبًا : « إنى لأعلمُ لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لَذَهَب عنه ما يجد » (١).

كما روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إن الغضب جَمْرَةٌ تتوقَّدُ فى قلب ابن آدم ، ألا ترون إلى انتفاخ أَوْدَاجِه واحمرار عينيه ؟ فمن أحس من ذلك شيئًا فالأرض الأرض » .

٥ ـ تعويد الأولاد على الإيثار والإنفاق فى سبيل الله :

يجب تعويد الأولاد منذ نعومة أظفارهم على الإيثار والتعاون والتكافل ، والإنفاق فى سبيل الله ، وَتَوقِّى شُحِّ النفس ، ومن النماذج الطيبة على ذلك ما روته كتب السيرة ، ومنها :

روت برزة بنت رافع أن عمر بن الخطاب أرسل إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش نصيبها من العطاء ، فلما دخل عليها حاملُ المالِ قالت : غَفَر الله لعمر ، غَيْرِى من أَخَوَاتى كان أَقْوَىَ على قسم هذا منى . فقالوا : هذا كله لكِ . قالت : سبحان الله صُبُّوه واطرحوا عليه ثوبًا . وأخذت توزعه ، فقالت لها برزة بنت رافع . غَفَرَ الله لكِ يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا فى هذا حق . قالت : فلكم ما تَحَتَ الثوب . قالت : فكشفنا الثوب فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهمًا » (٢).

ثم رفعت زينب يدها إلى السماء فقالت : « اللهم لا يدركنى عطاء عُمر من هِذا المال من قَابل ، فإنه فتنة . . . » . فاستجاب الله دعاءها .

وها هى ذى أم المؤمنين سَوْدَة بنت زمعة رضى الله عنها وأرضاها ، وقد بعث إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بغرارة من دراهم ، فقالت : ما هذه ؟ قالوا : دراهم . قالت : فى غرارةمثل التمر ؟فصرفتها عن آخرها (٣).

وبعث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بثمانين ألف درهم إلى السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكانت صائمة وعليها ثوب خَلَق ، فوزعت هذا المال ساعتها على

(١) البخارى ومسلم .
(٢) طبقات بن سعد ج ٨ ص ١٠٩ .
(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح عن محمد بن سيرين .

الفقراء والمساكين ولم تُبْقِ منه شيئًا . فقالت لها خادمتها : يا أم المؤمنين ، ما اسْتَطَعْتِ أن تشترى لحمًا بدرهم تفطرين عليه ؟ فقالت يا بنية لو ذكرتينى لفعلت (١).

وبعث عمر بن الخطاب بأربعمائة دينار إلى أبى عبيدة بن الجراح مع غلام ، وقال له : يقول لك أمير المؤمنين اجعلْ هذه فى بعض حاجتك . فقال أبو عبيدة : وَصَلَ الله عمر ورحمه . ثم قال لجاريته : اذهبى بهذه السبعة إلى فُلان ، وبهذه العشرة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفذها .

وبعث عمر مثلها لمُعَاذ بن جَبَل ، وفَعَلَ معاذٌ ما فَعَلَ أبو عبيدة . فقالت امرأة معاذ : نحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق إلا ديناران ، فَرَمَى بهما إليها . ولما علم عمر بذلك سُرَّ وقال : « إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

وفى عهد عمر بن الخطاب أصاب الناسَ قحطٌ شديد ، ووصلت قافلة لعثمان بن عفان من الشام من ألف جمل ، عليها أصناف من الطعام واللباس ، فقال عثمان لتجار المدينة وقد اجتمعوا عليه : كم تعطوننى ؟ قالوا : خمسة فى المائة . قال عثمان : إنى وجدتُ من يعطينى أكثر ، إنى وجدتُ من يعطينى على الدرهم سبعمائة فأكثر ، وجدت الله يقول :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

ووهب عثمان القافلة وما فيها لفقراء المدينة صَدَقَة للمسلمين .

وذكر الغزالى فى الإحياء عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : أُهْدِىَ إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال فلان أحوج إليها منى ، فبعث به إليه ، فبعث هو أيضًا بها إلى آخَرَ يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث كل واحدٍ إلى الآخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك .

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٦١ .

وقال العدوى : « انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من الماء ، وأنا أقول : إنْ كان به رَمَقٌ سقيتُه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ . فأشار برأسه أنْ نَعَمْ ، فإذا برَجُلٍ يقول : آه ! فأشار إلىَّ ابنُ عمى أنِ انْطَلِقْ إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أنْ نَعَمْ ، فَسَمِعَ آخرَ يقول : آه . . . فأشار هشام أن أنطلق إليه ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات ـ ولم يشرب أحد من الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه » [1].

هذه نماذج رائعة ترسخ السلوك الإسلامى القويم فى نفوس الأولاد ؛ لينشأ مجتمع يسوده الحب والود والصفاء .

ثالثًا :توجيه وتقويم الغريزة الجنسية لدى الطفل :

الطفل لغة الصغير . وقد سماه القرآن الكريم طفلاً منذ ولادته فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[2].

وتبقى التسمية حتى يبلغ الحُلم ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ [3].

وذكر ابن القيم فى كتاب « تحفة المودود فى أحكام المولود » أن الطفل منذ ولادته حتى بلوغه يمر بمراحل ، هى : وليد ، ورضيع ، وفطيم ، ودارج . .

ولقد وضع الدين الحنيف قواعد عامة لآداب سامية لتقويم وتوجيه الغريزة الجنسية لدى الطفل منذ طفولته وحتى يبلغ الحُلم ، منها الاستئذان ـ وفى أوقات معينة بصفة خاصة ـ وعدم إظهار زينة المرأة للطفل عامة ، والتفريق بين الأولاد فى المضاجع ،

---

(١) رواه القرطبى

(٢) سورة غافر ـ من الآية ٦٧ .

(٣) سورة النور ـ من الآية ٥٩ .

واتخاذ مبدأ الصدق والإقناع فى الإجابة عن أسئلة الطفل ، وإحاطته بجو أُسْرِيٍّ يسيطر عليه سلوكيات وأخلاقيات الدين الحنيف .

١ـ تعويد الأولاد على الاستئذان :

(أ) الذين لم يبلغوا الحُلم :

إذا كان الأولاد يرتادون عادة كل مكان فى المنزل ، فإن الشرع ـ حفاظًا على كرامة الزوجين ، وحفاظا على حرية الخلوة ـ أمر الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم أن يستأذنوا فى الدخول على الرجل والمرأة فى ثلاثة أوقات هى :

١ ـ قبل صلاة الفجر ، حيث يكون الناس فى ثياب النوم عادة .

٢ ـ وقت الظهيرة ، وقت التجرد من الثياب فى ساعة القيلولة وارتداء ثياب النوم للراحة ، حيث يغلب أن يكون الأبوان قد نزعا ثيابهما ، أو تكون الأم فى وضع لا يجوز أن يراها فيها طفل مميز .

٣ـ وبعد صلاة العشاء ، وهو وقت الاستعداد للنوم ، حيث يخلعون ملابسهم لذلك ويرتدون ثياب الليل .

جاءت الصحابية أسماء بنت مرثد إلى رسول الله ﷺ شاكية ، وقالت : يا رسول الله ، إنَّ غلماننا وأولادنا يدخلون علينا ونحن فى حالٍ لانحب أن يطلعوا عليها ، وفى وقت نكره الدخول فيه ، وهم لا غِنَى لهم عنا ، ولا غِنَى لنا عنهم ، فنزل على رسول الله ﷺ آية بينة توضح أحكام استئذان الأطفال والخدم فى داخل البيوت إذا أرادوا الدخول ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ

صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية الكريمة : إن الذى يستأذن فى الأحوال الثلاثة هو الذى عقل معانى الكشفة . وعليه فالآية الكريمة تطلب ألاَّ يدخل الطفل المميز الذى لم يبلغ الحلم على أبويه أو أحد من أهله من غير استئذان فى هذه الأوقات الثلاثة ؛ لئلاَّ تقع أنظارهم على عورات أهليهم ، وسماها القرآن الكريم « عورات » لانكشاف العورات فيها .

ذاك أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية ، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخُلُقية ، ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون لهذه المناظر ، فى حين يقرر علماءالتربية وعلم النفس أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها ، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها . وهذا الأدب القرآنى السامى يحمى الأبناء ، ويصون الآباء والأمهات وكل فرد فى البيت المسلم .

(ب) إذا بلغ الأطفال الحلم :

أما إذا بلغ الأطفال الحُلم فإنهم يدخلون فى حُكم الأجانب ، فَلْيَسْتأذنوا كما يستأذن المحارم ، أى : يستأذنون كلما أرادوا الدخول ، وذلك الحكم فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

قال إسحاق الفزارى : قلت للأوزاعى : ما حد الطفل الذى يستأذن ؟ قال : أربع

---

(١) سورة النور ـ الآية ٥٨ .

(٢) سورة النور ـ الآية ٥٩ .

سنين . وقال : لا يدخل على امرأة حتى يستأذن . وقال الزهرى : أى : يستأذن الرجل على أمه [1].

وقال القرطبى : « كان أنس بن مالك دون البلوغ يستأذن على رسول الله ﷺ ، وكذلك الصحابة مع أبنائهم وغلمانهم رضى الله عنهم » .

٢ـ عدم إظهار زينة المرأة أمام الطفل :

وإذا كان الإسلام قد أوجب الاستئذان وفى أوقات معينة بصفةخاصة فإنه يجب عدم إظهار زينة المرأة أمام الطفل بصفة عامة .

لذلك فإنه من أدب تربية الطفل عدم إظهار زينة المرأة أمام الطفل الذى يميز ، خاصة فى الأوقات الثلاثة التى ذكرتها الآية الكريمة ؛ لأن القرآن الكريم قد سمح للطفل المميز أن يدخل على أمه وأخته وقريبته فى غير هذه الأوقات بدون استئذان .

ومما هو جدير بالذكر أنه يجب ألاَّ يرى الطفلُ أحدَ والديه عريانَ فى أى مكان ، حتى فى غرفة الاستحمام ، ذلك أن الطفل سرعان ما يطرح بعض الأسئلة حينما يرى جسد والده أو والدته بهذه الصورة . وقد يضطر الوالد أو الوالدة إلى الإجابة فى خشونة واقتضاب ، ويتركان الطفل فى حالة ندم وشعور بالذنب لإلقاء أسئلته التى ألقاها بدافع فضولى طبيعى وحب للمعرفة ، مما يؤثر على شخصية الطفل فى حاضره ومستقبله .

ونركز هنا على أهمية القدوة السلوكية فى جو الأسرة ومدى تأثيره ، حيث إن المعالم الأساسية لشخصية الطفل تتكون فى السنوات الأولى من حياته بالتعلم والتوجيه ، وكذلك بالتقليد والإيحاء ، فيجب أن يكون البيتُ قدوة له فى كل شىء .

فاللباس لابد أن يكون محتشماً ، كما أمر الله ورسوله . والأخلاق فاضلة ، فلا يرى الطفل عورة ، ولا يسمع إلا الكلام الطيب .

---

(١) تفسير القرطبى ـ ج ١٢ .

٣ـ الإجابة عن أسئلة الطفل بصدق وحكمة :

وإذا سأل الطفل عن بعض أمور الجنس بدافع فضولى طبيعى فيجب أن يكون الجواب بالصدق مع استعمال المجاز والتلميح والإيحاء ، كأن يسأل مثلا : كيف وُجِدْتُ فى هذه الدنيا ؟فيكون الجواب بصورة مختصرة، خَرَجْتَ من بطن أمك ، ونوجهه إلى قوله تعالى فى القرآن الكريم فى سورة النحل :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾(١).

وقد يستطرد قائلا : وكيف نشأت فى بطن أمى ؟ وما علاقة أبى بأمى ؟ فيكون الجواب : إن الله عز وجل هو خالق كل شىء ، وهو خالق الإنسان ، يجعله فى بطن أمه نطفة سببها الأب ، فيكبر حتى يصير طفلاً ، فيخرج ونوجهه إلى قوله تعالى فى سورة المؤمنون :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞

ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾(٢).

وهكذا يكون فهم الطفل لأمور الغريزة الجنسية فهماً عقائديًّا مستمدًّا من الكتاب والسنة .

٤ـ التفريق بين الأولاد فى المضاجع :

وإذا كان كتاب الله الكريم قد حدد آداب الاستئذان وأوقاته ، فإن السنة النبوية المطهرة قد أمرت بالتفريق بين الأولاد فى المضاجع .

وإذا كان الإسلام يمنع التفرقة فى المعاملة بين الولد والبنت فى أى شىء ، فإن

---

(١) سورة النحل ـ من الآية ٧٨ .

(٢) سورة المؤمنون ـ الآيات من ١٢ ـ ١٤ .

التفرقة الوحيدة التى يتطلبها الدين وتفرضها الشريعة الإسلامية فى المعاملة بين الولد والبنت هو الفصل بينهما فى غُرَفِ النوم ، والتفرقة بينهما ساعة النوم . قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لِعَشْرٍ ، وفَرِّقُوا بينهم فى المضاجع » .

إن الطفل قبل البلوغ غير مُكَلَّفٍ ، ولكنه يُؤْمَرُ بالصلاة عندما يبلغ سن السابعة ، ويُضرب على ترك الصلاة عند بلوغ العاشرة من عمره ضربًا للتمرين والتأديب ؛ لأنه عند بلوغه هذه السن يقوى تمييزه ومعرفته . وحكمة التفريق بينهم فى المضاجع أنه فى سن العاشرة يقترب الفتى والفتاة من مرحلة البلوغ والنضج الجسدى والجنسى ، فينبغى على الوالدين أن يفرقا بين الولد والبنت فى أماكن نومهما وراحتهما بحجرة خاصة لكل منهما إن سمحت الظروف بذلك ، أوبأَسِرَّةٍ خاصة للبنات وأخرى للذكور ، وعند تبديل الملابس على الأولاد أن يتركوا الحجرة لأخواتهم البنات والعكس ، وذلك لعدم الحرج ؛ ليتعود الولد أن يكون بعيدًا عن أخته فى حالة انكشاف ثوبها وظهور جسمها منذ الصغر ، وذلك صيانة للأولاد وحفظًا لهم من التفكير فى أى عبث .

فالولد فى سن العاشرة مقبل على مرحلة النضج والرجولة ، فعليه أن يتعود على الاستقلال فى فراشه ، ويتعود على النوم وحده دون أن يلتصق به أحد فى النوم ، خصوصًا أخته . وكذلك الفتاة فى سن العاشرة مقبلة على مرحلةٍ من الاستقلال والإحساس بأنوثتها ، فلتتعود من الآن ، ولتتدرب على أن تحفظ بدنها من شقيقها ، بل من شقيقتها ، إنْ سمحت الظروف بذلك . كما يُعَوَّدُ الولدُ على أن يستأذن فى الدخول على حجرة نوم أمه وأخته . وتُعَوَّدُ البنت على أن تستأذن قبل الدخول على حجرة أبيها وأخيها .

وقد أثبت علماء النفس أن التجرؤ على الانحرافات والشذوذ يأتى بسبب اختلاط الذكور والإناث ، وكونهم لا يتحرجون ولا يعرفون حدودًا للحشمة والوقار ، ولا يُبْعَدُون عن النظر إلى العورات ، مما يُوَلِّدُ لدى الأولاد الجرأة الشديدة على النظر إلى الأنثى والتطلع المستمر إلى كشف أسرارها .

ومن ناحية أخرى قد يحدث نتيجة اختلاط الولد ونومه بجوار أخته أن ينشأ الولد

خجولاً بطريقة مرضية وشديدة تفوق الحد ، فتحدث له عقد نفسية عندما يكبر ويتزوج .

لذلك فإن هذا التشريع الإلهى بالتفريق فى مكان النوم بين الذكر والأنثى يتفق مع الطبيعة البشرية ، ويلائم الفطرة وطبيعة الإنسان واستعداده الحقيقى حيث تكبر البنت وينمو عندها الحياء ، ويكبر فى نفسها الاستحياء ؛ لأنها كلما شعرت بأنها يجب أن تغطى جسمها ـ ولو كان أمام أخيها الصغير ـ ازداد فى نفسها معنى الحياء ، وأصبح سجية لها وطبعًا ، ولكن إذا نامت مع أخيها فى فراش واحد فلابد أن يحدث كشف لبعض ملابسها ، أو كشف بعض ملابسه ، فتألف ذلك ، فتضعف ملكة الحياء فى نفسها ، وتتجرأ بعد ذلك على كشف عورتها .

إلى جانب هذا فالأنثى لها استعداد خاص فى نومها ، وفى حديثها عمَّا يختلج فى صدرها من أحاسيس رقيقة ، ومن أحلام ومشاعر الأمومة التى تتفق مع طبيعتها كأنثى، كل هذا يصلح أن تتحدث فيه مع أختها ، ولا يصلح أن تتحدث فيه مع أخيها الذى له أيضًا أحلام مختلفة ، وتطلعات تتفق مع رجولته وتكوينه الفطرى ، واستعداده النفسى ، ولا يصلح أن يكون حديث سمر مع أخته .

لهذا كله عالج الإسلام ذلك الأمر منذ البداية، ووضع لنا الإسلام المبادىء التى تضمن لهؤلاء الأولاد ـ ذكورًا وإناثًا ، فى فترة الطفولة وفى فترة المراهقة وما بعدها ـ حياة طيبة نقية تتناسب مع الفطرة التى فَطَرَ الله الناس عليها . فلا تَبَرُّجَ ، ولا سُفُور ، ولا محاولات لإثارة الشهوات حتى يرزق الله الفتى والفتاة الحياة الزوجية النقية . وصدق رسول الله ﷺ : « لأنْ يُوَدِّبَ أحَدُكُم وَلَدَهُ خيرٌ له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين » .

٥ـ تحريم إلباس الصغير الذهب والحرير :

كما ينبغى إفْهَام الصغار حدود الحلال والحرام .

عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه قال : « كنا عند عبد الله بن مسعود رضى الله

عنه، فجاء ابنٌ له عليه قميص من حرير ، قال : مَنْ كَساكَ ؟ قال : أمى . فشقه ، وقال : قُلْ لأمك تكسوك غير هذا [١].

وعن زيد بن أرقم ، وواثلة بن الأسقع ، رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : «الذهب والحرير حِلٌّ لإناث أمتى وحرام على ذكورها » [٢].

فيحرم على ولىِّ الصغير ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ تمكينه مِمَّا لا يحل للكبير ، فيحرم إلباس الصغير الحرير والذهب أو غير خاتم الفضة إذا كان ذكرًا ، أو أن يطعمه أو يسقيه فى آنية الذهب والفضة[٣] .

قال النووى فى المجموع : « . . . فأما الصبى ، فهل يجوز للولى إلباسه الحرير ؟ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : يحرم على الولىِّ إلباسه وتمكينه منه ، وكذلك يمنعه من شرب الخمر ، والزِّنَى وغيرهما . والثانى : يجوز إلباسه مالم يبلغ ، لأنه ليس مكلفًا ، ولا هو فى معنى الرجل .

والثالث : إنْ بلغ الصبى سبع سنين حرم ، وإلاَّ فلا ؛ لأن ابن سبع له حكم البالغين فى أشياء كثيرة . والراجح : القول بالتحريم ، وهو الأصح » [٤].

كل هذا يدل على مدى حرص الإسلام على أن يشب صغارنا بعيدًا عن تيارات الميوعة والتخنث وحياة الترف ، ليصيروا رجالاً يمكن الاعتماد عليهم .

كما يجب أن نجنب الطفل كل العوامل والمؤثرات التى تؤدى به إلى الميوعة من أدب رخيص وأفلام الإثارة ، وأن نُعَوِّدَهُ على السلوكيات التى تجعله مؤديًا دوره الأخلاقى والاجتماعى تبعًا لأوامر الدين الحنيف .

وهكذا يكون توجيه وتقويم كل غرائز الطفل على أساس ما أمر به الدين الحنيف ـ قرآنًا وسُنة ـ على أساس من العلم والحكمة والموعظة الحسنة ، من مناقشة وإقناع ، وعلى أساس القدوة الطيبة فى محيط الأسرة والمجتمع .

---

(١) أخرجه الطبرانى ـ الدين الخالص ج ٦ .

(٢) أخرجه الطبرانى ، وأبو داود ، والنسائى وغيرهم .

(٣) الدين الخالص ـ ج ٦ .

(٤) الدين الخالص ـ ج ٦ .

رابعًا : الحنان والرحمة والرفق فى تربية الأولاد :

عن أنس رضى الله عنه قال : جاء شيخ يريد النبى ﷺ ، فأبطأ القوم عن أن يوسعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « ليسَ مِنَّا مَنْ لم يرحم صَغِيرَنَا وُيَوقِّر كبيرنا »(١).

والرسول ﷺ كان فى الصلاة التى كانت قرة عينه ، والتى كان يقف فيها بين يدى ربه إلى أن تتورم قدماه ، حين يسمع بكاء طفل يُسرع فى صلاته ـ عاطفة رقيقة ، وقلب ملؤه الحنان للطفل الصغير الذى لا يعرف أسباب ما يوجعه ولا يؤلمه حتى يسرع إليه أبوه وأمه .

إن معاملة الرسول ﷺ لأحفاده الحسن والحسين وأُمَامَة وهو فى أثناء الصلاة داخل المسجد ، لَتُعْطِينَا مثلاً طيبًا رائعًا لحنان ورحمة النبى بالصبية الصغار .

وقد روى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال : « دخلنا على النبى ﷺ وهو يمشى على أربعة (أى على يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : (نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما) .

وأبصر الأقرع بن حابس التميمى النبى ﷺ وهو يُقَبِّلُ الحسن والحسين ، فقال للرسول : إن لى عشرة من الولد ما قَبَّلْتُ أحدًا منهم . فنظر إليه الرسول ﷺ وقال : مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم »(٢).

سيد المرسلين يُقَبِّلُ الحَسَن ابن ابنته فاطمة تقبيلة الحُب ، ويعانقه عناق الحنان ، ويقول : « اللهم أَحْبِبْهُ وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » فيقدم للإنسانية مثلا من أروع أمثلة العطف الأبوى الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقلبه الفياض بالرحمة والعطف الذى يتجلى فى إكرامه وعطفه على أحفاده وعلى الصبية أجمعين .

وكان رسول الله ﷺ يخطب بين أصحابه وإذا الحسن والحسينُ يقبلان عليه ـ وهما طفلان ـ يتعثران فى مشيتهما ، فأوقف الرسول خطبته وقطع حديثه ونزل فحَمَلَ الطفلين فى حنان غامرٍ ، وحُبٍّ طاهر ، وعاد وهو يتلطف معهما ، وأتم خطبته وهو يقول :

---

(١) رواه الترمذى ـ تحفة الأحوذى ج ٦ .

(٢) رواه الترمذى ـ تحفة الأحوذى ج ٦ .

«يا أيها الناس ، صدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ والله لقد رأيت ابْنَىَّ يجريان ويتعثران ، فما أطقت حتى نزلت فحملتهما » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: « كنت مع النبى ﷺ فمر على صبيان فسلم عليهم»(١). فكان الرسول ﷺ يبدأ بالتحية على الأطفال عندما يمر بهم ليعطيهم الثقة وعزة النفس ، وسماحة الإسلام ، ويحترم رسول الإسلام شخصية الطفل كإنسان كبير .

إن تنمية الملكات الفاضلة والقيم الإنسانية والْـمُـثُـلِ العليا لدى الطفل ، وإشباع غريزتى حب الذات وحب التكامل لا تتحقق إلا باحترام شخصية الطفل وإكرامه وإحساسه بأنه عضو فعال من أعضاء الأسرة فى المجتمع ـ ويقول ﷺ : « وَقِّرُوا كِبَارَكُم وارحموا صغاركم » . ويقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ارْحَمْ مِنْ أَهْلِكَ الصغيرَ ، ووَقِّرِ الكَبِيَر » . ويقول ﷺ : « أحبوا الصبيان وارحموهم »؛ لأن الحب والحنان عاملان أساسيان فى تربية الطفل ، وفى توطيد العلاقات الإنسانية الطيبة بين أفراد الأسرة ، فيسود بينهم الود والتعاطف والاحترام المتبادل ـ وإذا كان رسولنا ﷺ يوصينا بمعاملة الأطفال بكل الرحمة والحب والحنان فيوصينا أيضًا بمعاملتهم برفق وأناة. فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال، قال رسول الله ﷺ لأَشجع بن عبد القيس : «إن فيك خصلتين يحبهما الله : الرفق والأناة »(٢).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلاَّ زانَهُ ولا يُنْزَعُ من شىء إلاَّ شانه »(٣).

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ، ومالا يعطى على سواه »(٤).

قال القابسى بعد ذكر حديث « إن الله رفيق . . . » : « والأطفال تدخل فى هذه الوصية المتقدمة ، واستعمال لفظ (الرفق) بدل (العفو) دليل الشعور بما بين الأطفال والبالغين من فروق ، فالرفق عكس التشديد ، والعفو فى مقابل العقاب » .

---

(١) رواه الترمذى ـ تحفة الأحوذى ج ١ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

وقد يجتمع الرفق والعقاب ولا يجتمع العفو والعقاب ، وكتب أحد أمراء المؤمنين إلى معلم ولده يقول : صَيِّرْ يَدَكَ عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة ، وأَقْرِئْهُ القرآن ، وعَلِّمْهُ السنن ، وعَرِّفْهُ الأخبار ، وَرَدِّدْهُ الأشعار ، وبَصِّرْهُ بمواقع الكلام وبَدْئِه ، وامْنَعْهُ من الضحك إلا فى وقته ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم له فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، وقَوِّمْهُ ما استطعت بالرفق والملاينة ، فإن أَبَاهُمَا فعليك بالشدة . . . الخ .

إن أسلوب التحقير والإهانة والتعنيف فى معاملة الأولاد من أهم العوامل التى تسبب ظاهرة الشعور بالنقص والانحرافات النفسيةوالخُلُقية فى حياة الولد . وعلينا إن وقع من الولد خطأ أو صدرت منه هفوة أن ننبهه على خطئه برفق ولين ، مع إقناعه بالحجج التى تساعده على اجتناب الخطأ ، وكانت هذه الطريقة الرقيقة اللينة فى التأديب هى طريقة رسول الله ، المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، ﷺ . ومن النماذج الطيبة الكريمة فى معاملته ﷺ لمن يخطىء ـ كبيرا كان أم صغيرا ـ برفق ولين لإصلاح وتقويم الاعوجاج ، ما رواه مسلم فى صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمى ، رضى الله عنه ، قال : بينما أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذْ عطس رجل من القوم ، فقلت له : يرحمك الله . فرمانى القوم بأبصارهم . فقلت : واثكل أماه ! ما شأنكم تنظرون إلىَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَنِى سكت ، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من صلاته دعانى ، فبأبى وأمى ما رأيتُ معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ، فوالله ما قهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى ، لكن قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءةالقرآن .

وما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بال أعرابى فى المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبى ﷺ : دَعُوه وأريقوا على بَوْلِهِ سَجْلاً[1] من ماءٍ فإنما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ .

ورَوى مسلم عن جرير بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير كله » .

---

(١) السَّجْل : الدلو العظيمة .

١ـ مشروعية العقاب للأولاد .. ولكن :

وحديث رسول الله ﷺ بأمر الأولاد بالصلاة وضَرْبِهِمْ عليها يوضح مشروعية العقوبة فى الإسلام للطفل ـ وكذلك للبالغ والرجل والمرأة ـ فالصبى يوقع عليه العقاب إذا استحقه ، والولد العاق يستحق التأديب من والده ، وللزوج على زوجه حق التأديب الذى يصل إلى حد الضرب . فالإنسان فى شتى مراحل حياته عرضة للوقوع فى الإثم ، والكمال لله وحده .

والخلائق بعد ذلك تتدرج فى مراتب بين الكمال والنقص ، والخير والشر ، وإذا كان بعض فقهاء الإسلام قد أباحوا استخدام الضرب فإنهم قد وضعوا له ضوابطَ وشروطًا محددة ، بحيث يكون ضربًا خفيفًا ، ولا يلحق بالشخص أى أذًى ، أو يترك بجسده أثرًا .

ويجب التدرج فى تأديب الولد ، فإن لم ينفع النصح والوعظ لجأ إلى الهجر ، وإنْ لم ينفع الهجر لجأ إلى الضرب،فالعقاب بالضرب موجود منذ القدم فى تأديب الأطفال فى البيوت وفى المدارس ، وقد رخص فيه الإسلام فى ضرب المرأة الناشز إذا لم تفلح الموعظة والهجر .

وقد جاء فى الحديث الذى ذكرناه آنفًا ، والذى رواه أبو داود عن النبى ﷺ : « مُرُوا أولادكم بالصَّلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشرٍ ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » غير أنه ينبغى ألاَّ يكون الضرب مبرحًا ، وأن يُستعمل عند من لا يصلحه إلا ذلك .

دَخَلَ ولد لعمر بن الخطاب عليه وقد رَجَّلَ شَعْرَهُ ، ولبسَ ثيابًا حَسَنَةً ، فضربه بالدِّرَّة حتى أبكاه ، فقالت له حَفْصَة : لِمَ ضَرَبْتَهُ ؟ فقال : « أعْجَبَتْهُ نفسُه فأحببتُ أن أصَغِّرَها إليه »[1].

وثبت أن أمراء المؤمنين أذنوا لمؤدبى أولادهم أن يضربوهم عند اللزوم ، وينبغى أن يكون الضرب من أجل التأديب وليس لدافع شخصى . يقول ابن حجر الهيثمى ، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ : « إنَّ ضَرْبَ التلميذ يكون بعد إِذْنِ وليِّ أمره ، وأن يظن أنه يفيد ،

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٩٦ .

وألاَّ يكون مبرحا ، فإنْ ظن أنه لا يفيده إلا الضرب الشديد (الإيذاء) فلا يجوز بالإجماع ، لأن العقوبة شُرعت لظن الإصلاح ، فاذا جاء بها ضَرَرٌ انْتَفَتْ » .

وجاء فى مقدمة بن خلدون [1]: قال أبو محمد بن أبى يزيد فى كتابه عن المعلمين والمتعلمين : « لاينبغى لمؤدِّبى الصبيان أن يزيدوا فى ضربهم ـ إذا احتاجوا إليه ـ عن ثلاثة أسواط شيئًا » [2].

إِذَنْ فلا مانع من اتباع أسلوب الترغيب والتشجيع بالكلمة الطيبة ، وبمنح الهدايا تارة ، واتباع أسلوب الترهيب ، واللجوء إلى العقوبة الزاجرة إذا روعى فيها مصلحة الولد فى تقويم الاعوجاج والانحراف تارة أخرى ـ وإذا كان الإسلام قد حث على العفو عن المذنبين الكبار فهو مع الصبيان واجبٌ لِصِغَرِ سِنهم ، وقِلَّة مداركهم وضيق عقولهم ـ فعلى المربى أن يلجأ إلى الرفق مع الصبيان الذين يرتكبون الأخطاء . ومِنْ حُسْنِ رعاية المربى لأبنائه أن يكون بهم رفيقًا .

ويعلمنا رسولنا الكريم ﷺ أدبًا ساميًا فى المعاملة ، فالرسول ﷺ لا يواجه مَنْ فعل بِفِعْلِهِ حتى لا يُخْجِلَهُ ، فكان يقول : « ما بَالُ أَحَدِكُم يفعلُ كَذا وكَذا » . . إذا كان هذا مع من يخطىء من الكبار ، فما بال الصغار وهم أكثر ما يكونون حاجة إلى الرفق والحنان ؟! وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [3].

٢ـ الحنان والرحمة فى تربية وكفالة اليتيم :

وإذا قُدِّرَ للمرأة المسلمة أن تكفل أطفالاً يتامَى فعليها أنْ تُحْسِنَ رعايتهم وتربيتهم وضمان معيشتهم ، يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [4]. وقد أوصى الرسول ﷺ باليتيم بصفة خاصة ، وكيف لا ، وقد كان رسولنا ﷺ يتيماً فآواه رب العزة عز

---

(١) ص ٣٩٩ .

(٢) انظر : مجلة منبر الإسلام ـ عدد ذى الحجة ١٤٠٨ هـ : أنت تسأل والمفتى يجيب لعطية صقر .

(٣) سورة الأحزاب ـ من الآية ٢١ .

(٤) سورة الضحى ـ الآية التاسعة .

وجل ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ (١). وعن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكَافِلُ اليتيم فى الجنة كَهَاتَيْنِ » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وَفَرَّج بينهما (٢).

وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال : كافلُ اليتيمِ ـ له أولغيره ـ أنا وهو كهاتين فى الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ ضَمَّ يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى ، أوجب الله له الجنة ، إلاَّ أن يعمل ذنبًا لا يُغْفَر » (٣).

وقال ﷺ : « مَنْ مَسَحَ رأسَ يتيم لا يمسحُه إلا لله ، كَانَ له بكل شعرة مَرَّتْ عليها يده حَسَنَة . ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كُنْتُ أنا وهو هكذا فى الجنة » (٤).

وقال ﷺ : « اللهم إنَّى أُحَرِّجُ حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » (٥). ومعنى أحرج : أى أُلْحِقُ الحَرَجَ والإثْمَ بمن ضَيَّعَ حقهما .

وكان ﷺ يخص اليتيم بمزيد من العطف والمودة والرحمة ـ رأى ﷺ يتيماً يومَ عيد فَلاَطَفه وبَشَّ فى وجهه ، وأحْسَنَ إليه ، وأخَذَهُ إلى بيته وقال له : « أما ترضَى أن أكون لك أبًا وتكون عائشة لك أُمًّا ؟ » .

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أَوْصِنِى بوصية : قال « ارْحَمِ اليتيمَ وأَدْنِهِ منكَ ، وأَطْعِمهُ من طعامك ، فإنَّى سمعتُ رسول الله ﷺ وقد أتاه رجلٌ يشتكى قسوة قلبه ، فقال له رسول الله ﷺ : « إذا أرَدْتَ أن يَلِينَ قلبك فَأَدْنِ اليتيمَ مِنْكَ ، وامْسَحْ رَأْسَهُ ، وأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ ؛ فَإنَّ ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك » .

وعن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال : « خيرُ البيوتِ بيتٌ فيه يتيم يُحْسَنُ

---

(١) سورة الضحى ـ الآية السادسة .
(٢) رواه البخارى والترمذى ـ تحفة الأحوذى ـ ج ٦ .
(٣) رواه الترمذى من حديث ابن عباس ـ تحفة الأحوذى ـ ج ٦ .
(٤) رواه الإمام أحمد ، وابن حبان ، وغيرهما .
(٥) متفق عليه .

إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يُساءُ إليه ، وأحَبُّ عبادِ الله إلى الله تعالى مَنِ اصْطَنع صُنْعًا إلى يتيم أو أرملة » .

وُرِوِيَ أن الله تعالى أوصى إلى داود عليه السلام : « يا داود ، كُنْ لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم كَمَا تَزْرَع كذا تحصد » .

وقال عليه السلام فى مناجاته : « إلهى ما جزاءُ مَنْ أسْنَدَ اليتيمَ والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أنْ أُظِلَّهُ فى ظِلِّى يوم لا ظِلَّ إلا ظلى .

ومن أجمل ما كتبه المرحوم الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى عن الحنو على اليتيم ، قوله ـ فى مقال بعنوان : يوم العيد ـ :

« . . إن رجلاً يؤمن بالله ورسله وآياته وكُتبه ، ويحمل بين جنبيه قلبًا يخفق بالرحمة والحنان ، لا يستطيع أن يملك عينه من البكاء ، وقلبه من الخفقان عند ما يرى ـ فى طريقه إلى معبده أو منصرفه من زيارته ـ طفلة مسكينة يتيمة ، بالية الثوب ، كاسفَة البال ، دامعة العين ، تحاول أن تتوارى وراءَ الأسوار والجدران خجلاً من أترابها وصواحبها أنْ تَقَعَ أنظَارُهُنَّ على يُتْمِها وبُؤْسِها وفقرها ورثاثة ثوبها ، وفراغ يدها من مثل ما تمتلىء به أيديهن ، فلا يجد بُدًّا من أن يدفع عن نفسه ذلك الألم بالحنو عليها وعلى بؤسها وعلى يُتمها ومتربتها ؛ لأنه يعلم أن جميع ما اجتمع له من صنوف السعادة وألوانها لا يوازى ذرة واحدة من السعادة التى يشعر بها فى أعماق قلبه عند ما يمسح بيده تلك الدمعة المترقرقة فى عينيها . . » .

خامساً : العدالة بين الأولاد وعدم الحرمان من الميراث أو الوقف :

إن من أهم أسباب انحراف الأولاد نفسيًّا المفاضلة بينهم فى العَطَاء ، سواء العطاء المادى ، أو العطاء المعنوى : من مَوَدَّة ومحبة ؛ لذلك يجب على المربى ألاَّ يُفاضِلَ بين المربين ، كما يجب على الأب ألاَّ يُفاضل بين أولاده مفاضلة معنوية ، من حب وعطف وحنان ، ورحمة ورعاية ، أو مفاضلة مادية من عطايا وميراث وخلافه ؛ لذلك أمر صلوات الله وسلامه عليه الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم . روى ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رَحِمَ الله والِدًا أعان وَلَدَهُ على بِرِّه » .

(أ) التفضيل المعنوى :

يحكى لنا القرآن الكريم لقطة من قصة يوسف عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (١).

إن إيثار فرد بالحب دون الآخرين ينشىء فى نفس الآخرين عقدة النقص ، وهذه العقدة قد تؤدى إلى أن يكون السلوك مخالفًا للقيم والمبادىء الخُلُقية ، وقد تتركز فى نفس الإنسان وتسيطر على كل تصرفاته حتى بعد أن يكبر ؛ ولذلك حينما أحَسَّ إخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم فكروا فى التخلص منه . وليس معنى ذلك أن سيدنا يعقوب عليه السلام لم يكن يعدل بين أولاده فى الحب والعطف ، وإنما حيثية امتياز ذلك الصغير بالحُب أن الإخوة الكبار اجتازوا المرحلة التى يعوزهم فيها العطف والحب ، وهو وأخوه صغيران وهما فى المرحلة التى يعوزهما فيها العطف والحنان . فكل إنسان يُحَبُّ صغيرًا لأنه فى حالة من العجز تجعله فى حاجة إلى كثير من الحب ، ولو أن إخوة يوسف فهموا تلك العلاقة ما جعلوها عيبًا فى الأب ، ولا أخذوها سببَ حقدٍ على ذلك الابن .

وقال ﷺ : « إن الله يحب أن تَعْدِلُوا بين أولادكم حتى القُبَلِ» وقال ﷺ : « اعدلوا بين أولادكم كما تُحبون أَنْ يَعْدِلُوا بينكم » .

وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ رجلاً كان عند النبى ﷺ ، فجاء ابنٌ له فَقَبَّلَه وأَجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألاَ سَوَّيْتَ بينهما ؟ »

كل هذه التوجيهات النبوية تؤكد مبدأ تحقيق العدل والمساواة والمحبة والرعاية والعطف والرحمة فيما بين الأولاد .

ويجب مراعاة مشاعر الولد ، خاصة إذا كان الولد مصابًا بعاهة جسدية ، مما قد يحتاج معه إلى معاملة خاصة ، فينبغى أن يَلْقَى ممن يعيش حوله كل رعاية وعطف

---

(١) سورة يوسف ـ من الآية ٨ .

ومحبة وأخلاق سامية رَضية ، وتعاطف حَسَن جميل ، وألاَّ يُخَاطَبَ بعاهته ، تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ (١).

وقوله ﷺ : « الرَّاحِمُون يرحمهم الله . ارْحَمُوا مَنْ فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(٢).

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تُظْهر الشَّمَاتَة لأخيك فَيَرْحَمه الله ويبتليك » (٣).

(ب) التفضيل المادى :

١ـ تحريم الوقف على بعض الأولاد دون البعض :

قال ﷺ : «سَاووا بين أولادِكُم فى العَطِية » (٤).

لذا يحرم الوقف على بعض الأولاد دون البعض ، فيجب على الوالدَيْن أن يُسَوِّيَا بين أولادهما فى العطيةحتى يكونا لهم فى البِرِّ سواء ، ويحرم عليهما أن يُؤْثِرَا بعض الأولاد بمنحة أوعطاء بغير مسوغ ولا حاجة حتى لا يوغرا صدور الآخرين ويوقدا بينهم نار العداوة والبغضاء . فقال عليه الصلاة والسلام : « اعدلوا بين أولادكم . اعدلوا بين أولادكم . اعدلوا بين أولادكم » (٥). وقصة هذا الحديث الشريف . الذى يدل على تحريم الوقف على بعض الأولاد دون بعض وبطلانه أن عمرة بنت رواحة امرأة بشير بن سعد الأنصارى طلبت إلى زوجها أن يخصَّ ولدها النعمان بن بشير بمنحة مالية ، وأرادت توثيق هذه الهبة ، فطلبت من زوجها أن يُشْهِدَ على هذه الهبة رسولَ الله ﷺ ، فذهب إليه ، فقال : يا رسول الله ، إن زوجتى سألتنى أن أنحل ابنها هبة . فقال ﷺ :

---

(١) سورة الحجرات ـ من الآية ١١ .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود .

(٣) مروى فى الصحيحين .

(٤) رواه الطبرانى وغيره .

(٥) رواه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود .

أله إخوة ؟ قال : نعم . قال ﷺ : فكلهم أعطيتَ مثلما أعطيته ؟ قال : لا . قال ﷺ : « فليس يصلح هذا ، وإننى لا أشهد إلاَّ على حق ، لا تُشهدنى على جَوْر . إنَّ لبنيك من الحق أن تعدل بينهم ، كما لك من الحق أن يَبَرُّوكَ . اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، أعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم » . فرجع فَرَدَّ عطيته [1].

ومعنى قوله ﷺ : « إنَّى لا أشْهَدُ إلاَّ على حَق » أنَّ عَمَلَ والد النعمان ليس حقًّا ، بل هو جَوْرٌ باطل ؛ لأن الحق ضد الباطل , لقوله تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [2].

والحديث دليل على وجوب المساواة بين الأولاد فى الهبة ، وقد صرح به البخارى ، وهو قول أحمد ، وإسحاق ، والثورى ، وآخرين، وإنها باطلة مع عدم المساواة ، كما يؤيد القول بالتحريم والبطلان [3].

وجاء فى أعلام الموقعين أنَّ حِرْمَان الوارث يُعد من الكبائر : « ومن الكبائر حرمان الوارث حقه من الميراث ، والتحايل على إسقاط ما أوجب الله ، واسقاط فرائضه بالحيل .

٢ـ عدم الحرمان من الميراث :

وإن من مظاهر العدالة والمساواة بين الأولاد عدم حرمان بعض الأولاد من الميراث ، وكذلك عدم حرمان بعض الأقارب من الميراث بأى وسيلة من الوسائل . فالميراث حق قرره الله عز وجل بعلمه وعدله وحكمته ، وجعله فريضة محكمة لا يلحقها تغيير ولا تبديل ، وأعطى به كل ذى حق حقه ، وأمر الناس أن يأتمروا بما حدده وشرعه ، واستثار فى المحافظة عليه عاطفة الإيمان وعاطفة الأبوة . فمن خالف هذا النظام فى تقسيمه وتحديده فقد اعترض على شريعة الله . وقد ذكر الله عز وجل شئون الميراث فى ثلاث آيات بينات من القرآن الكريم .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) سورة الأنبياء ـ من الآية ١٨ .

(٣) انظر : سبل السلام ـ شرح بلوغ المرام .

فقال تعالى : فى ختام الآية الأولى :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١).

فالله تعالى جعل للوارث حقًّا فى مال مُوَرِّثه ، فلا يصح أن يمنعه عنه . وقد بينت آية المواريث ما لكلٍّ من الذكور والإناث من هذا الحق .

وقال تعالى فى ختام الآية الثانية والآيات التالية لها :

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٢).

فاعتبرت الآيات البينات أن تقسيم المواريث حَدٌّ من حدود الله ، ونهت عن تعديها ، ووعدت من يتعداها بدخول النار : ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ .

وقال تعالى فى ختام الآية الآخيرة من سورة النساء الخاصة بالمواريث :

﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

ولذلك فمحاولات بعض الآباء والأمهات اختصاص بعض الأولاد دون بعض ، أو

---

(١) سورة النساء ـ من الآية ١١ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٢ والآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة النساء ـ من الآية ١٧٦ .

اختصاص الذكور وحرمان الإناث من حقهم فى الميراث يعد حرامًا باطلاً . وإنّ اعتماد الآباء والأمهات فى تصرفاتهم على بعض الفتاوى المنحرفة دون مراعاة لسر الحكمة فى قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ ، وأن الله تعالى قد تولى بنفسه توزيع التركات وبيان أنصبة الوارثين ، فتعد تصرفاتهم هذه حرامًا باطلا . نعم أجاز الله للمالك أن يوصى بشىء من ماله ليتدارك به تقصيره فى حياته بالنسبة إلى ما كان يجب عليه من فعل الخير ، فأباح الله له أن يخرج جزءًا من ماله يتقرب به إلى الله سبحانه . وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم » والوصية لا تقع عند الله موضع القبول إلا إذا جاءت على هذا الأساس : «سد عوز المعوزين ، وإعانة الفقراء العاجزين » ، ولم يترتب عليها مع ذلك حرمان مستحق هو فى الحاجة أشد .

٣ـ أساس تشريع الوقف :

إن أساس الوقف فى الإسلام هو تحبيس سيدنا عمر حصته من أرض خبير ، فقد رَوَى البخارى ومسلم عن نافع ، عن عبدالله بن عمر ، قال : أصاب عمر أرضا بخيبر ، فأتى النبى ﷺ يستأمره فيها ، فقال : يا رسول الله ، إنى أصبتُ أرضًا بخيبر ولم أصب مالاً قَطُّ هو أنفس عندى منه . فما تأمرنى به ؟ قال الرسول : « إنْ شئت حبست أصلها وتصدقت بها » قال : فتصدق بها عمر ، وأنه لا يُباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب » .

قال : فتصدق بها عمر فى الفقراء وفى الرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف، ولا جناح على مَنْ وَلِيَهَا أن يأكل منها بالمعروف ، أو يطعم صديقًا غير متمول فيه » . ووقف عمر هذا أول وَقْفٍ فى الإسلام ، وهو نص فى الوقف الخيرى ؛ لأن الجهات التى ذكرها عمر وأقره عليها النبى ﷺ كلها خيرية ، وليس فيها مَنْعُ أَحَدٍ من حقه .

واشترى سيدنا عثمان بن عفان بئر رومة بالمدينة المنورة من خالص ماله ، وخَلَّى بينها وبين الناس يسقون منها ، وهذا عمل خيرى محض من أفضل أعمال الخير ، وهذا ما كان يعرف فى عهد رسول الله ﷺ وأصحابه فى زمنه .

ولكن طرأ بعد ذلك محاولات لبعض الواقفين ولبعض الآباء والأمهات بالوقف على الأولاد الذكور وحرمان الإناث . يقول المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ، أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة سابقًا فى بحثٍ له فى الوقف على البنين دون البنات : « إن الأوقاف التى يُقْصَد بها إيثار بعض الورثة بالميراث كله أو بعضه وحرمان الآخرين أو نقص حقوقهم ـ أوقاف غير جائزة ، ولا يقرها الشرع ، ولا يرعاها بحمايته ، ولسهنا بدعًا فى هذا الرأى ، فقد حكم به كثير من الفقهاء . وهذا النوع لا ينطبق عليه وقفُ الصدقة » .

يقول الله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (١).

ويقول النبى ﷺ : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « سَوُّوا بين أولادكم فى العَطِيَّة ، فلو كُنت مفضلاً أحدًا لفضلت النساء » .

وقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » (٢).

وعلى هذا فَرَأْىُ جمهور العلماء مُؤَيَّدٌ بأدلةٍ من كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ . وفِعْلُ الصحابة ينتهى إلى القول بتحريم الوقف الذى يشتمل على حرمان أى وارث من حقه فى الإرث وبطلانه . ويُعد الوقف على البنين دون البنات ، أو على بعض الأولاد دون بعض ، أو تفضيل بعض الأولاد على بعض ، كل هذا يعد حرامًا وباطلاً ، لأنه تعدٍّ على حدود الله : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٣). فالله سبحانه وتعالى حين شرع نظام الميراث فإنما شرعه لحكمة علمها سبحانه ، ولقد أراد من الذين آمنوا بالله

---

(١) سورة النساء ـ من الآية ١١ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى .

(٣) سورة النساء ـ الآية ١٤ .

ورسوله أن يتبعوا نظامه فى الميراث كما يتبعون نظامه فى غيره ، والمؤمن الصادق الإيمان هو الذى يستجيب لله ورسوله فى الصغير فى أمور الدين والكبير منها ، فإذا ما أراد تغيير ذلك بنحو من الأنحاء فإنه يدل بعمله على أنه غير مطمئن القلب للتشريع الإلهى . يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١).

٤ ـ الوصية بثلث المال :

أما الوصية بثلث المال فالأصل فى إجازتها قوله ﷺ : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم » .

والحكمة التى يهدف إليها الشارع الحكيم من ذلك هى تدارك ما فات المالك من تقصير فى حياته لمن كان يجب عليه رعايته ، ومساعدة بعض ذوى الحاجة ـ أجنبيًا كان أو قريبًا ـ تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى . ويجب أن يراعى فيها ألاَّ تكون سببًا فى أحقاد وضغائن بين الأولاد وأبيهم ، وبين بعض الإخوة وبعضهم الآخر بسبب تفضيل بعض الورثة ، أو هضم لحقوق البعض الآخر ، وإلاَّ فالأفضل تركها وإبقاء التركة لتوزيعها على الوجه الذى فَرَضَهُ الله وقَدَّرَهُ لكل وارث حسب حكمته السامية فى مُحكم كتابه ، حفاظًا على صلة الرحم ، ومنعًا لقطعها .

ومن العلماء من يرى أن الوصية لا تصح أن تكون لوارثٍ أيًّا كان هذا الوارث ، لكن الآية صريحة فى قوله تعالى :

﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ١٨٠ .

سادساً : اللعب والغناء المباح للأولاد :

يجب عدم حرمان الطفل من اللعب ؛ لأن اللعب ضرورى للطفل من الناحيتين البيولوجية والسيكلوجية ، فاللعب غريزة ذاتية من الغرائز الأصلية التى يجب أن يراعيها الوالدان بحرية كاملة . واللعب ظاهرة اجتماعية فى حياة الإنسان عامة ، وحياة الأطفال خاصة ، ولعب الأطفال لابد منه ، حيث يشعرهم بالمتعة نتيجة حريةالحركة التى يمارسونها أثناء الجرى والقفز والصراخ والضحك . وقد أباح الإسلام اللعب للصغار والكبار أيام الأعياد (١).

وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : « قَدِمَ النبى ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « قد أبْدَلَكُم الله تعالى بهما خيرًا منهما : يوم الفطر ، والأضحى »(٢).

ومن أنواع اللعب المباح :

(أ) اللعب بالحراب ونحوها :

كان اللعبُ بالحِراب ونحوها فى المسجد وغيره مباحًا للتدريب على أعمال الجهاد والبر ولترويح النفس . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « والله لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ، يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف ، فاقدروا قَدْرَ الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » (٣).

فاقدروا . . . الخ : من التقدير : أى قَدرُوا رغبتَها فى التفرج والنظر إلى اللعب ، وحبها لذلك ، وحرصها على إدامته ما أمكنها بلا ملل .

(ب) العَدْو :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « خرجتُ مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وأنا

---

(١) انظر : الدين الخالص - ج ٥ .

(٢) رواه النسائى وابن حبان - الدين الخالص - ج ٥ .

(٣) رواه مسلم - الدين الخالص - ج ٥ .

جارية لم أحمل اللحم ، ولم أبدن ، فقال للناس : تقدموا . فتقدموا ، ثم قال تَعالَىْ حتى أسابقك . فسابقتُه فَسَبَقْتُه . فسكت عنى ، حتى إذا حملتُ اللحم وبدنتُ خرجت معه فى بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، فقال لى : تَعَالَىْ حتى أسابقك ، فسابقته فسبقنى ، فجعل يضحك ويقول : هَذِه بتلك »[1].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كُنت أَلعب بالبنات أى : العرائس والدُّمى فى بيت رسولِ الله ﷺ ، وكان لى صواحب يأتيننى فيلعبن معى ، فَيَنْقَمِعْنَ إذا رأين رسول الله ﷺ فيسير بهنَّ إلىَّ فيلعبن معى »[2].

(ج) الرماية :

عن سَلَمة بن الأَكْوَع رضى الله عنه قال : مَرَّ رسول الله ﷺ على قوم ينتضلون (أى : يتسابقون فى الرمى) فقال : ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميًا . . ارموا وأنا مع بنى فلان . فأمسك أحد الفريقين بأيديهم . فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ قال : ارموا وأنا معكم كلكم »[3].

(د) الضرب بالدف :

ويجوز الضرب بالدف ، والغناء الخالى عن التكسر والغزل ونحوه ، لحديث عائشة رضى الله عنها : « إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان وتضربان بِدُفين ، ورسول الله ﷺ مسجى بثوبيه ، فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف رسول الله ﷺ وجهه وقال : « دَعْهُمَا فإنها أيام أعياد »[4].

ففى الأحاديث مشروعية التوسع على الأهل والعيال فى أيام العيد بما يحصل لهم من بسط للنفس وترويح للبدن .

وكان المسلمون الأوائل يرددون وهم يحفرون الخندق من حول المدينة هذا النشيد :

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى - ج ١ .
(٢) المصدر السابق - ج ٢ .
(٣) رواه البخارى وغيره - الترغيب والترهيب ج ٢ .
(٤) أخرجه مسلم ، وأحمد ، والنسائى - الدين الخالص - ج ٥ .

والله لـولا الله مـا اهتدينـا ولا تَصَـدَّقْنَـا ولا صَلَّيْنَـا

فَأَنْزِلَـنْ سكينـةً علينـا وثَبِّتِ الأَقْـدَام إنْ لاقَيْنَـا

وفى زفاف عروس يأمر الرسول ﷺ السيدة عائشة أن يغنوا لها .

أتينـاكـم أتينـاكـم فَحَيُّـونَـا نُحَيِّيكُـم

ولـولا الحَبَّـةُ السَّمَـرا عُمـا جِئْنَـا بِـوادِيكُـم [1]

(١) الحبَّةُ السمراء : العروس .

obeikandl.com